مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٢/٦/٣٠

بصراحة يكتبها محمد حسنين هيكل

[٣] حالة اللا سلم واللا حرب

... والاتحاد السوفيتى

... لكى لايضيع منا وقت نحتاج اليه فى صميم الموضوع ـ فانى أقترح أن ندخل على الفور الى السؤال الذى ينتظرنا اليوم ، بمقتضى السياق المنطقى لهذه السلسلة من الأحاديث عن حالة « اللاسلم واللاحرب » ، وهذا السؤال هو :

ـ هل يمكن أن يكون الاتحاد السوفيتى مستفيدا من حالة ـ أو جريمة ـ اللاسلم واللاحرب ؟ » .

□

ان الموضوع دقيق ثم هو حيوى بالنسبة لنا ، واتمنى أن يكون رأيى فيه واضحا وكاملا بمقدار مايحتمله أى رأى من صواب وخطأ ، واقترح ـ عن رغبة فى تسهيل عرض الموضوع ـ أن أرسم منذ البداية خطوطا عامة لما أنوى التعرض له خلال السطور التالية :

ان الموضوع ـ فيما أتصور ـ سوف ينقسم الى أربعة أجزاء رئيسية :

أولا ـ ملاحظات تمهيدية عن العلاقات العربية السوفيتية ، بعضها يجب اثباته مقدما ، وبعضها الآخر لابد من تنحيته مقدما أيضا ...

ثانيا ـ ماذا يريد الاتحاد السوفيتى فى المنطقة العربية ، وما الذى تحقق له مما يريد ؟

ثالثا ــ هل يفضل الاتحاد السوفيتى ــ أو هو لايفضل ــ حالة اللاسلم واللاحرب ، وماهى الاعتبارات فى الموقفين ؟
رابعا ــ ماهى الخلاصة التى يمكن أن نخرج بها فى النهاية ؟

واذا بدأنا فى تناول الموضوع وفق هذا التقسيم فاننا سوف نقابل ــ أولا ــ مجموعة من الملاحظات التمهيدية عن العلاقات العربية السوفيتية وبعضها ــ كما قلت ــ يجب اثباته مقدما ، وبعضها الآخر لابد من تنحيته مقدما أيضا .

■ **اذا أخذنا الملاحظات التمهيدية التى يجب اثباتها مقدما** فانى أطرحها كما يلى :

❶ **اننى واحد من الذين يؤمنون ــ وعن اقتناع ــ باهمية الصداقة العربية السوفيتية وضرورتها القصوى بالنسبة لنا سواء فى حالة الحرب أو حالة السلم .**

❷ **اننى من هذا الايمان لا أوافق على رأى الذين يعتبرون ان العلاقات العربية السوفيتية منطقة محرمة لا يجوز الاقتراب منها بالمناقشة ــ خصوصا من قاعدة التمسك بها ــ وفى ظنى أن الاساءة الكبرى الى أى علاقة تبدأ بمحاولة استبعادها من دائرة أى حوار لأن ذلك ينقل هذه العلاقة من دائرة النور الى دائرة الظل وهذا خطر على أى علاقة بين اثنين من البشر أو اثنتين من الدول .**
ورأيى أن العلاقة الصحية بين اثنين هى العلاقة التى

تستطيع أن تتنفس الطبيعة نسيما أو ريحا او حتى عاصفة.

❸ اننى ادرك ان كثيرين من الاصدقاء السوفيت لايتحمسون للمناقشات المفتوحة ، كما أنهم يشعرون بحساسية زائدة تجاه بعض ما أكتب احيانا، وانا أعتبر ذلك اختلاف امزجة أكثر مما أنسبه الى أى شىء آخر ، وكثيرا ماحاولت — ومنذسنوات طويلة — أن أشرح وجهة نظرى فى الكتابة المفتوحة أمام كثيرين من الأصدقاء السوفيت وعلى كل المستويات .

كنت اقول : ان الشعب المصرى مجتمع مفتوح جغرافيا وتاريخيا .

وكنت أقول : لعل اصدقاءنا لاينسون ان وطننا هو جزء من أمة عربية يدور على ارضهاحوار واحد ، واذا كنا نستطيع أن نقيد هذا الحوار بسلطة الدولة فى مصر ، فان الحوار متصل خارج مصر فى حين أن سلطة الدولة المصرية مقصورة على حدودها فقط .

وهكذا فانه لا فائدة من اى قيد أو تقييد داخل حدود مصر ، بل ان مثل هذا القيد او التقييد لايفيد مصر وانما يضرها لأنه يسلبها جماهيرها الواسعةوراء الحدود المصرية وهذه الجماهير لاتعطى الا بمقدار ماترى ، ولا تؤيد الا بمقدار ماتقتنع .

ولقد نجحت فى شرح وجهة نظرى مرات ، وفشلت مرات اخرى ، لكنى لم اغير من الطريقة التى اكتب بها حتى مع شعورى بالحساسية ازاء ماأكتب احيانا ، واذكر اننى قلت مرة لأحد الزعماء السوفيت :

— اننى لا استطيع — وربما لا اعرف — ان اكتب بأسلوب برافدا مثلا ، ثم ان اية مشاعر تجاهى لا تؤثر فى احساسى بالصداقة مع السوفيت ، ولا يعنينى ان تكون هذه الصداقة متبادلة لأنمدخلى اليها هو باب الولاء لمصرالعربية وحدها » .

❹ ولست اعتبر أن بحور العبارات الانشائية والبلاغية والحماسية هىالمناخ الملائمالذى تستطيع فيه علاقات الصداقة الدولية أن تنمو وان تصارع الموج والوحش ، ولقد كان من ملاحظاتى على مسار العلاقات العربية السوفيتية : غلبة المجاملات الشرقية الفضفاضة على المناقشات العقلانية المحددة ، وما كنت اخشى منه حقيقة — ولا ازال — هو حين تدخل المناقشة احيانا فى الجد العميق فاذا الحديث يتسيب من الاستراتيجيات والسياسات الى العواطف والتمنيات .

وكان رايى — ولا يزال — أن المناقشة الجدية هى المناقشة

التى يصل فيها كل من الطرفين الى نقطة يعرف فيها اين هو تماما ، بصرف النظر عن اية عواطف جياشة . **ولا تهمنى** مواطف تهز الطرفين من الاعماق ولكن كلا منهما بعدها لايعرف أين هو تماما ؟!

● اننى فى كل الاحوال والظروف لا ارى مبررا لسوء تفاهم عربى ــ سوفيتى ، وفى كل الاحوال والظروف فاننى اعتقد بصدق قول ونستون تشرشل حين قال وسط الخلافات بين الحلفاء فى الحرب العالمية الاخيرة كلمته المشهورة :

ــ ليس هناك ماهو اسوا من التقاتل بين الأصدقاء الا القتال بدونهم » .

. . . . . .

. . . . . .

اردت ان اثبت هذه الملاحظات التمهيدية .

□

■ هناك ملاحظات اخرى تمهيدية اقترحت تنحيتها مقدما واذا انتقلنا اليها ــ فاننى اطرحها كما يلى :

● اننا عندما نتحدث دائما عن تنافس وتوازن يحكم العالم بين « القوتين الأعظم » فيه ــ فليس من حق أحد أن ينفى عن الاتحاد السوفيتى انه احدى القوتين الاعظم وأن يبادر الى رد ذلك بالحدة والغضب !

مثل ذلك تجاهل لحقائق العصر واوضاع الدنيا كما نراها امامنا ...

وليس فى وضع الاتحاد السوفيتى على مستوى القوة الاعظم اساءة اليه وانما هو تقرير واقع ....

وفى نفس الوقت فان مستوى « القوة الأعظم » ــ **ليس بالضرورة مثبتا ، وانما الامر يتوقف على طبيعة القوة وعلى العوامل الدافعة لما يصدر عنها .**

● ان مظنة افتراض المساواة بين القوتين الأعظم فى الحديث عنهما ليست واردة ، لانه لايمكن ــ بالفعل ــ وضع الولايات المتحدة بما تمثله اجتماعيا ، والاتحاد السوفيتى بما يمثله اجتماعيا ، على مستوى واحد .

وانما الفارق فادح بين الاثنين على اننا لكى نكون منصفين للكل ــ بما فيهم انفسنا ــ يجب ان نتذكر ان الاتحاد السوفيتى شيئان : **ثورة ودولة .**

وهناك تناقض محتمل بين الاثنتين .

وكان الاتحاد السوفيتى **الثورة** هو الذى يساعد فيتنام مثلا .

ولكن الاتحاد السوفيتى **الدولة** كان هو الذى استقبل نيكسون فى الكرملين بينما الحصار بالالغام مضروب حول

هايفونج وبينما القنابل تهوى فوق هانوى !

٣ ان البعض يضايقهم ان يقال ان الاتحاد السوفيتى له مصالح ورايهم ان الاتحاد السوفيتى له مبادىء فقط !

ورايى ان مثل هذا القول لا يساوى عناء المناقشة .

لأن الاتحاد السوفيتى شانه شان كل امة عظيمة لديه المصالح والمبادىء ولست ارى بالضرورة تصادما حادا بين الاثنين .

بل لعلى ازعم ان التاريخ لم يعرف منذ بدايته وحتى الآن امة تبنت مبادىء معادية لمصالحها !

والدول مثل الأفراد كائنات حية :

● فى الحب تملى عليهم مواطفهم .

● وفى السياسة تملى عليهم مصالحهم .

وان تملى العواطف فى السياسة ـ فان ذلك ليس اقل سوءا من ان تملى المصالح فى الحب !!

واذن فلعلنا ان نحترم عقولنا لكى يحترم الآخرون هذه العقول .

٤ ان التطير والتشاؤم من اى كلمة مفتوحة تقال للاتحاد السوفيتى او عنه واعتبارها معاداة للاشتراكية ومعالاة للامبريالية ـ لايساوى هو الاخر عناء المناقشة والدليل ان الصين تقول للاتحاد السوفيتى وعنه ماتقول ، ومع ذلك فان احدا لا يخطر له ان يتهم الصين بمعاداة الاشتراكية ومعالاة الامبريالية .

٥ ان تصوير الصداقة العربية السوفيتية ، على اساس انها طرف عربى ياخذ ، وطرف سوفيتى يعطى ـ هو تصوير مجاف للحقيقة لا مصلحة فيه لأحد .

ان العطاء متبادل ، والأخذ متبادل لمصلحة الطرفين ، والا كنا ننقل العلاقة من مستوى التعاون الى مستوى الاحسان وليس ذلك صحيحا فيما يتعلق بمصر وفيما أعلم .

ان مصر تحصل على ماتحصل عليه من الاتحاد السوفيتى وتسدد ثمنه ، ولا يمكن ان يقال عن مصر مثلا ، مايقال عن كوبا ـ مع انه فى رايى ظلم صارخ للثورة الكوبية ـ من انها تكلف الاتحاد السوفيتى مليون دولار كل يوم .

ولقد حملت الأنباء من موسكو اخيرا ان حسابا ختاميا جرى بين مصر والاتحاد السوفيتى بشأن المرحلة الأولى من السد العالى وتبين ان مصر سددت قرضها فيه بالكامل وزيادة عليه مليون ونصف مليون جنيه جرى نقلها الى حساب بند آخر .

هـذا هو الجزء الأول من الحـديث : ملاحظـات تمهيدية بعضها للاثبـات وبعضها الآخر للنفى !

الجزء الثانى من هذا الحديث هو السؤال الذى يقول :

ـ ماذا يريـد الاتحـاد السوفيتى فى المنطقة العربية ، وما الذى تحقق له مما يريد ؟

■ والرد عليه هو أن الاتحاد السـوفيتى ـ بالثورة والدولة فيه ـ يسعى الى تحقيق الأهداف التـالية :

❶ تصـفية السـيطرة الاستعمارية فى المنطقة العربية، وكانت تلك هى نقطـة اللقـاء الهـامة بينـه وبين الحـركة العربيـة الثورية التى قادها جمـال عبد الناصر . وقد نجح ذلك اللقـاء نجـاحا كبيرا لانه اعطى الحـركة الثـورية العربيـة حرية المناورة بنجاح ادى الى انتهـاء الامبراطورية البريطانية فى الشرق العربى ، والامبراطـورية الفرنسـية فى المغـرب العربى ، وحال دون حلول السـيطرة الاسـتعمارية الامريكية الجديدة محل السيطرة الامبراطورية القديمة واضطرت الولايات المتحدة فى محاولتهـا لفرض سيطرتها أن تعتمد على اسرائيل بالمكشوف كأداة ارهاب وتخويف ، وكأن قطعة الأرض التى تحتلها قد اصبحت حاملة طـائرات ملتصـقة بالسـاحل الشرقى للبحر الابيض .

❷ نشر الفـكر المـاركسى كبديل للفكر الراسمالى الاقطاعى المتهاوى على ارض المنطقـة . وليس لمثل ذلك أن يفزعنا بل انه منطق وطبيعة الاشياء لان صاحب أى عقيدة ـ مهما اختلف معه الآخـرون ـ تحت التزام دائم بالدعوة اليهـا ، وللآخرين أن يرفضوا أو يقبلوا ، يقاوموا أو يسـكتوا ... حسـبما يرون ويستطيعون .

وقـد كان ذلك الهـدف السوفيتى، من نقط الاحتكاك بين الاتحاد السوفيتى وبين قـوى الثورة الغربية خصوصا عندما بلورت الثورة العربية ـ بواسطة النـاصرية ـ فـكرا ومنهجـا خاصا بها ، اعتبرته الاكثر ملاءمة لظروفها وللعصر .

وللانصـاف فان الاتحـاد السوفيتى لم يحاول أن يفرض عقائده بالقسر ، كما ان الناصرية والماركسية اسـتطاعتا ايجـاد آفاق للتعاون بينهما فى مهاداة الاستعمار العـالمى والاستغلال الطبقى والطموح المشـترك فى اتجاه التقدم الاجتماعى .

❸ ان الاتحاد السوفيتى كان يريد ان تكون مكاسبه كلها من ذلك ارصدة اضافية تقوى موقفه

الدولى والعقائدى والاقتصادى تجاه النظام الاستعمارى الذى تقوده الولايات المتحدة ، وكان ذلك مفيدا له ، كما انه كان فى الوقت ذاته دعما لاصدقائه فى المنطقة خصوصا عندما وصل صراعهم مع الاستعمار الامريكى ومع اسرائيل الى نقطة الازمة فى سنة ١٩٦٧ .

❹ ان الاتحاد السوفيتي كان يريد ان يستعمل هذه الارصدة المضافة الى قوته ـ فى صراعه العالمى بشرط أن لا يؤدى ذلك الى صدام مباشر بينه وبين الولايات المتحدة لأن الحرب بينهما أصبحت مستحيلة .

ان القوتين الأعظم وصلتا الى تفاهم مشترك على اخراج الصراعات المحلية من علاقاتهما الثنائية ، واصبحت الاولوية الأولى بالنسبة لكل طرف منهما هى علاقاته المباشرة مع الطرف الآخر .

وكان ذلك نتيجة تطور عالمى بدأ بالتصاعد الذرى ثم وصل الى التعادل الذرى .

ان العلاقات بين الطرفين الآن اصبحت تتطلب الأمن الكامل لان كليهما تأكد أن الاخر لديه طاقة القتل الشامل !

❺ يريد الاتحاد السوفيتي ايضا أن تكون المنطقة العربية بالنسبة له معبرا الى مناطق اخرى وراءها فى افريقيا وآسيا ، والمنطقة بكل ظروفها ـ الجغرافيا والتاريخ مرة اخرى ـ بوابة معظم القارات والمحيطات والبحار !

□

وللسؤال بقية هى :
ـ ماذا تحقق للاتحاد السوفيتى مما يريد فى المنطقة ؟ » .

■ والرد عليه ـ باختصار شديد ـ ان الاتحاد السوفيتى استطاع تحقيق مايلى :

❶ اصبح للاتحاد السوفيتي نفوذ كبير فى المنطقة اعطاه ميزة كبرى ازاء خصمه الاستعمارى الذى كان الشرق الاوسط تقليديا منطقة مقفلة عليه وحده .

❷ اصبح الاتحاد السوفيتي شريكا هاما فى العملية الاقتصادية والتجارية فى المنطقة ، بل انه اصبح فى السنوات الاخيرة طرفا بارزا فى لعبة البترول العربى باهميته المطلقة سواء كمجال للاستثمار او كمصدر للطاقة .

❸ اصبح باب الشرق الاوسط مدخلا مفتوحا الى افريقيا وآسيا .

❹ اصبح للاتحاد السوفيتي تحت ضغوط الصراع العربى الاسرائيلى تواجد عسكرى فى

المنطقة بكل مالهذا التواجد من مزايا استراتيجية .

● ... ثم الى جانب ذلك كله حقق الاتحاد السوفيتى ـ الحلم الروسى القديم ـ بدخول المياه الدافئة واصبحت اساطيله التجارية والعسكرية فى كل البحار ... خصوصا فى البحر الابيض عقدة كل المواصلات البحرية .

نصل الى الجزء الثالث من هذا الحديث وهو ـ وفق التقسيم الذى اتفقنا عليه ـ ذلك السؤال الذى يقول :

ـ هل يفضل الاتحاد السوفيتى ـ او هو لايفضل ـ حالة اللاسلم واللاحرب ، وما هى الاعتبارات فى الموقفين ؟. »

. . . . . .

. . . . . .

نحن اذن امام موقفين يدور بينهما حوار ، او نحن بالاصح امام وجهتى نظر كل منهما تجد لنفسها مبرراتها .

□

ولكى اعطى للمناقشة حقها فاننى سوف اخرج نفسى منها مؤقتا لاعرض جانبى الحوار ، او وجهتى النظر المتقابلتين فيه.

■ هناك بالتاكيد جانب ووجهة نظر فى العالم العربى من رايه ان الاتحاد السوفيتى له مصلحة فى حالة اللاسلم واللاحرب السائدة فى المنطقة اليوم ،وهو يبنى اسبابه على ما يلى :

❶ ان استمرار حالة اللاسلم واللاحرب **تؤدى الى زيادة اعتماد المنطقة على الاتحاد السوفيتى** خصوصا مع التصاعد الامريكى فى تسليح اسرائيل .

❷ ان ذلك سوف يؤدى الى **تعميق التناقض بين العرب والولايات المتحدة** لانه سوف يؤدى الى ضغوط على مصالحها بالذات عند منابع البترول وقد يمتد التناقض بين العرب وامريكا ليصبح **تناقضا بين العرب والغرب عموما** مع ملاحظة ارتباط الغرب ـ أوروبا بالذات ـ بروابط وثيقة سياسية واقتصادية مع الولايات المتحدة.

❸ ان ذلك ايضا سوف يؤدى الى **تعويق دخول الصين فى المنطقة** ذلك ان الصين لا تملك الاسلحة المتطورة اللازمة للصراع العربى ـ الاسرائيلى ، وقصارى ما تستطيع ان تقدمه ـ طالما حالة اللاسلم واللاحرب قائمة ـ هو مشاعر العطف والتاييد .

❹ **ان التواجد السوفيتى يمكن ان يتزايد فى هذه الظروف ، كما ان المبررات لتزايده تكون قائمة .**

٥ ان ذلك الوضع ايضا يخرج التواجد السوفيتى من اطار المناقشات المفتوحة ، بل أكثر من ذلك ، فانه قد يؤدى الى اعتبار اية مناقشة حول السياسة السوفيتية محظورا لا يصح الاقتراب منه .

٦ ان استمرار حالة اللاسلم واللاحرب تترك العالم العربى كله معلقا فى الهواء ، وممزقا على الارض ، وهذا اسهل فى التعامل معه من نواح عديدة .

٧ ان هذه الحالة ترغم الولايات المتحدة على التعامل مع الاتحاد السوفيتى فى ظلال ازمة محددة فى منطقة حساسة ، يمكن تحريكها فى اى وقت .

٨ ان الاتحاد السوفيتى يريد حل الازمات التى يهتم بها ، واحدة بعد واحدة ، **وبما ان تناقضه الحاد الان مع الصين ، واذن فان اهتمامه الاول مركز على فيتنام ، ومن المستحسن ان تنتظر ازمة الشرق الاوسط دورها ، فلا تربك له حساباته .**

٩ ان التحريك غير المحسوب للصراع العربى ـ الاسرائيلى ، هذه اللحظات ، قد يفرض الحرب. والحرب ، مع الالتزام الامريكى لاسرائيل ، **قد تؤدى الى مواجهة .**

١٠ ان التوتر المحكوم فى المنطقة العربية ، كما هو الان ، يتيح المجال لتفاعلات اجتماعية حادة : واذا كانت النظم التقليدية عارية ، واذا اصبحت النظم التقدمية عاجزة ... اذن فما هو البديل ؟!

هذا جانب ... ووجهة نظر !

□

■ **فى مقابل ذلك جانب ووجهة نظر فى العالم العربى ، من رايه ان الاتحاد السوفيتى لا مصلحة له فى حالة اللاسلم واللاحرب السائدة فى المنطقة اليوم ، وهو يبنى اسبابه على ما يلى :**

١ ان كل الارباح التى تتحقق للولايات المتحدة واسرائيل من استمرار حالة اللاسلم واللاحرب سوف تتحول الى خسائر فى جانب الاتحاد السوفيتى مع استمرار هذه الحالة .

٢ ان الثورة العربية سوف تنحسر تماما من المنطقة ، والبديل الشيوعى ـ ولو نظريا ـ ليس مهيأ لقيادتها الان ولا فى المستقبل المرئى ، وذلك لاسباب دينية وحضارية ووطنية ومعنى ذلك ان المنطقة سوف ترتد ، حتى بطريقة لا ارادية ، الى الاوضاع التى كانت سائدة فيها قبل سنة ١٩٥٢ .

٣ ان قيمة المعاهدات مع الاتحاد السوفيتى سوف تضيع

في هذه الحالة ضياعا كاملا ، في افريقيا وآسيا ، اذ سوف يظهر لشعوب هذه القارات ان الصداقة مع الاتحاد السوفيتي مهما كانت وثيقة ، ليست مانعا للصواعق .

❹ ان السلاح السوفيتي سوف تتاثر سمعته ، وقد نتذكر ان ازمة الشرق الاوسط سوف تكون هي الاختبار الحقيقي للسلاح السوفيتي !

ان الهند لم تكن اختبارا حقيقيا ، لان قيام بنجلاديش كان حربا اهلية انتهى امرها قبل ان يتدخل الجيش الهندى فى الواقع .

ثم ان فيتنام ليست مجال الاختبار الصحيح ، لان ظروفها الطبيعية تفرض على الحرب هناك ظروفا اخرى ، خصوصا فى الجو .

وعلى سبيل المثال — ووفق ما تقول به تقارير معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن — فان الطيران الامريكى لم يجد امامه على ارض فيتنام الشمالية اكثر من ثمانية اهداف تستحق الضرب الجوى .

واما فى مصر — مثلا — فان العنصر الجوى يكتسب اهمية فائقة من حقيقة ان العمق المصرى يحمل على ظهره اكثر من الف هدف يستحق الضرب الجوى .

❺ ان الاتحاد السوفيتي يحسب بالتاكيد حسابا لهيبة تواجده العسكرى فى المنطقة ، وهذه نقطة بالغة الحساسية بالنسبة لواحدة من القوتين الاعظم .

❻ انه اذا لم تثبت المساعدة السوفيتية للمنطقة العربية مقدرتها على التاثير ، فان الصين سوف تكون قد حصلت على الجائزة الكبرى .

❼ ان حركة التحرر الوطنى كلها سوف تكون مطالبة بالتحول نحو الصين ، وسيكون على الاتحاد السوفيتى — مهما كره ذلك او عاند فيه — ان يسلم زمام حركة الثورة العالمية للصين .

❽ ان الاتحاد السوفيتى — اذا سمح لذلك ان يحدث — وسوف يحدث — اذا استمرت حالة اللاسلم واللاحرب بدون حسم — سوف يفقد ميزانه فى المياه الدافئة .

❾ ان الاتحاد السوفيتى له مصلحة فى الابقاء على اطيب العلاقات مع منابع الطاقة البترولية فى المنطقة وخطوط مواصلات هذه الطاقة ، سواء بوسيلة الانابيب او عبر قناة السويس .

❶ ان استمرار اغلاق قناة السويس ـ مع استمرار حالة اللاسلم واللاحرب ـ يعرقل النمو المتزايد فى البحرية السوفيتية ، سواء فى حالات الخطر ، او حالات الرخاء الاقتصادى .

واذن ، من هذا كله ، فان الاتحاد السوفيتى سوف يحسم ، او بمعنى آخر يساعد على الحسم .

لقد عرضت جانبى الحوار ووجهتى النظر فيه ، واخرجت نفسى خلال ذلك من المناقشة كلها ، ولكن اللحظة جاءت لأعود اليها ، وحتى لا يتصور احد اننى حاولت التهرب من ابداء رايى .

اننا الان نصل الى الجزء الرابع من الحديث ، وهو : الخلاصة بعد كل ما قيل .

□

بعد كل ما قيل ... ما هى الخلاصة ؟

اريد ـ قبل اى شىء ـ أن أتحفظ بالقول بأن الخلاصة التى اعرضها ـ شأنها شأن كل ما اكتبه ـ لا تعبر الا عن اجتهاد شخصى بحت ، يقوم على رؤية ذاتية، تحاول أن تكون موضوعية الى أقصى حد انسانى ممكن ، للحوادث والتطورات .

ثم بعد ذلك احدد رايى فيما يلى :

❶ لاشك عندى على الاطلاق فى اهتمام الاتحاد السوفيتى بالمنطقة العربية ، وتقدير كل من فيه للصداقة العربية ـ السوفيتية .

❷ ان الاتحاد السوفيتى ـ وبصدق ـ يتمنى لو انتهت حالة اللاسلم واللاحرب ، لصالح اصدقائه العرب .

❸ ان الاتحاد السوفيتى يعتقد بافضلية انهاء هذه الحالة بتسوية سلمية ، تحفظ كرامة ومصالح اصدقائه العرب ، وفى نفس الوقت لا تعرضه ـ تحت اى ظرف من الظروف ـ لاى صدام مع الولايات المتحدة ، ثم تكف عنه ـ فى اللحظة ذاتها ـ حملة التشهير المسمومة التى توجهها له اسرائيل ، مستغلة فى ذلك يهود الاتحاد السوفيتى

❹ ان الاتحاد السوفيتى يرسم سياسته على المدى البعيد ، وهو يجد ان التحول التاريخى يحقق له ارصدة مضافة كل يوم ، كما انه يقتطع من الولايات المتحدة بعض ارصدتها مع كل يوم .

وبسبب الاستراتيجية الطويلة فان الاتحاد السوفيتى لا يريد خسائر فى ارصدته لا مبرر لها ،

ولا يجد فائدة من تعجل الوقت ، طالما هو يستطيع شراءه لصالحه .

❺ ان الزعامة الحالية للاتحاد السوفيتى ـ والزعامات المقبلة فيما اتصور ـ هى من نوع الزعامات الجديدة فى العالم ... وهى زعامات الحساب .

واذا تذكرنا ان الثلاثى الجالس على القمة ، وهم : بريجنيف ، وكوسيجين ، وبادجورنى ، كلهم فى الاصل مهندسون ، لادركنا نوع الحسابات التى تجرى فى عقولهم .

ان هذا النوع من الزعامات يرى قضايا العالم بنظرة علمية هادئة ، والمهندس بتكوينه ، يستطيع تصور حجم الجهد المطلوب للبناء ، كما انه يستطيع تصور تشابك العلاقات وتنوع الجهود المطلوبة لتحقيق نتيجة ما ؛ وهو من هنا يلعب لعبته السياسية بطريقة مجردة من الأنفعالات .

وهم يرون ان سياستهم ناجحة : الاتحاد السوفيتى يزداد تقدما ... ويزداد قوة ... ويزداد غنى ، وذلك يحدث بلا حرب ، فضلا عن ان الحرب مستحيلة .

ما محصلة ذلك كله بالتحديد ، وبالعلاقة المباشرة مع السؤال المطروح عن حالة اللاسلم واللاحرب ؟

والرد بوضوح كما يلى :

❶ ان الاتحاد السوفيتى لا يتعجل فى المدى القصير ـ الشهور الستة القادمة ـ كسر حالة اللاسلم واللاحرب ، لانها قد تمس علاقته الجديدة مع الولايات المتحدة ، وهى العلاقة التى راهن فيها الاتحاد السوفيتى على نجاح ريتشارد نيكسون فى انتخابات الرئاسة القادمة ، وتلك هى الدلالة الكبرى لاجتماع موسكو من اوله الى آخره .

ويبدو ان زعامة الاتحاد السوفيتى تعتبر ان ريتشارد نيكسون هو « احسن عدو لهم فى البيت الابيض » ، وهم يريدونه هناك لاربع سنوات اخرى .

❷ من المؤكد ان الاتحاد السوفيتى لديه تصور للطريقة التى يمكن ان تتحرك بها ازمة الشرق الاوسط بعد نجاح نيكسون فى الانتخابات القادمة ، ومن المرجح ان هذا التصور كان موضع مناقشة فى اجتماع موسكو ، ولا اقول محل اتفاق .

ولا يعقل ، فى ظنى ، ان يبذل الاتحاد السوفيتى كل هذا الجهد فى الوفاق مع الولايات المتحدة ، لكى تواجه هذا الوفاق ازمة خطرة بعد اسابيع من عودة نيكسون الى البيت الابيض .

ولكن السؤال المهم هو : « ما هذا التصور السوفيتي » ؟

(٣) ان ازمة الشرق الاوسط هي أزمة حياتنا نحن في هذه المنطقة ، ولكنها بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، واحدة من أزمات متعددة على اتساع رقعة هذا العالم كله .

وبالتالي ، فان الاتحاد السوفيتي يستطيع تحمل حالة اللاسلم واللاحرب في المنطقة باكثر مما نستطيع نحن ان نتحملها .

ولكن ذلك كله ليس معناه انه يريد استمرارها .

وانما هو على وجه القطع يريد نهاية لها :

نهاية لا تورطه مع الولايات المتحدة في كل الاحوال .

ونهاية سلمية اذا امكن ...

اما غير ذلك فهو لا يمنع احدا منه ، ولكنه لا يدفع احدا اليه .

. . . . . .

. . . . . .

في تلخيص اخير فان الاتحاد السوفيتي لايمكن اعتباره شريكا في حالة — او جريمة — اللاسلم واللاحرب ، واقرب الاوصاف الى تصوير دوره هو:

دور المحامي .

هو محام تقدم — بالاقتناع وبالمصلحة — الى الدفاع عن الحق العربي ، في محاولة قتل تعرض لها هذا الحق العربي .

وهو في دفاعه يحاول بكل الوسائل التي يراها مناسبة — لكنه وهذا منطقي ، لايعتبر نفسه المجني عليه الاصلي في محاولة القتل المستمرة على الارض العربية .

. . . . . .

. . . . . .

ولقد حاولت أن أكون واضحا، لاني اعتقد ان الوضوح هو سبيلنا الوحيد الى نضال شامل ومستنير يعود به الحق الضائع ويتاكد به السلام الحقيقي في المنطقة على العدل وحده .

وكان يقيني ولا يزال ان ذلك ممكن بشرط اساسي هو أن يستطيع العقل العربي اداء دوره في المعركة : مسيطرا وحده وموجها .

. . . . . .

. . . . . .

ثم ننتقل بعد ذلك الى دور مصر ومسئوليتها .

محمد حسنين هيكل